



العلاقات الإيرانية السعودية .. تقاربٌ وشيك أم استمرار المقاطعة؟



حسن الصرّاف

جميع الحقوق محفوظة لمركز رواق بغداد للسياسات العامة © ٢٠٢٢

مركز تفكير يُقدم رؤى وافكار ودراسات وبحوث للنخب والمختصين ومتخذي القرار. تصدر عنه مجلة "الرواق" والتي تعنى بالتركيز على عنوانٍ واحدٍ وتُستكتب فيه خيرة الباحثين والكتاب والمختصين. يعمل على تيسير المعرفة لغير المختصين لزيادة وعي وثقافة الجمهور بعيداً عن الاعلام غير المبني على اساس علمي. يعمل الرواق على ترجمة مقالات وبحوث مهمة ومختارة عن اللغات الانكليزية والفارسية والتركية والفرنسية، لتكون بين يدي الباحث العراقي. ينطلق المركز في اعماله وتناجه من اهمية التركيز على العمل المعرفي بدلاً عن الايديولوجيا والخلفيات النظرية المشحونة او المتطرفة. يؤمن الرواق باهمية الانفتاح على الكتل السياسية والنخب المعرفية في ايصال افكاره وتصوراتهِ ورؤاه في بناء الدولة والمؤسسات العراقية.

يطمح الرواق بان يكون نتاجه اضافةً لفهم الواقع العراقي دون تشنج واحكام مسبقة. كما يعمل الرواق على طباعة ونشر بحوث ودراسات الراغبين بعد فحصها وتدقيقها على اساس علمي، وهي لا تعبر بالضرورة عن متبنياته، فالرواق محكوم بالاظر النظرية والعلمية وحسب.

يرحب رواق بغداد بجميع الرؤى والافكار والحلول التي تطرح من قبل اصحاب الاختصاص من الباحثين والمفكرين والكتاب.

www.rewaqbaghdad.org

Legal Note:

Publishing this material has been funded by Rewaq Baghdad Center of Public Policy however, the views expressed in this document do not reflect the Center's official policies nor its opinions.

تم تمويل نشر هذه المادة من قبل مركز رواق بغداد للسياسات العامة. لكن الآراء الواردة في هذه الوثيقة لا تعكس سياسات المركز الرسمية ولا آراءه.

انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمملكة العربية السعودية منذ عام ٢٠١٦ على أعقاب هجوم المحتجين الغاضبين على البعثات الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد، بسبب قيام السلطات السعودية بتنفيذ حكم الإعدام بحق ٤٧ شخصاً، من ضمنهم رجل الدين الشيعي السعودي الشيخ نمر النمر.

لا تقتصر أسباب التوتر في العلاقات الإيرانية السعودية على أحداث عام ٢٠١٦، فمُنذ قيام المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٢ (وحتى قبل ذلك) وإلى الآن تحصل بين الفينة والأخرى أحداثٌ تخلق حالةً من التوتر والصراع بين البلدين، وإلى جانب ذلك هنالك فترات زمنية أخرى يلاحظ فيها تقارب لافت بين إيران والسعودية.

السؤال الذي قد يُعرض بهذا الصدد يستفهم عن ماهية أسباب التوتر؟ وماهية أسباب التقارب؟ وأيُّ الأسباب أقوى وأرجح على الأخرى ومن شأنها أن تكون مستدامة بنحوٍ أكثر؟

من الملاحظ أن معظم أسباب التوتر تعود إلى قضايا تمس المشاعر الدينية، وبعضها تعود إلى أحداث دامية وقعت في مواسم الحج، فقبل تأسيس المملكة العربية السعودية رسمياً كان النظام الملكي الإيراني شديد الاستياء والقلق من توسع الحركة الوهابية في الحجاز، وإنَّ التعمد في تهديم قبور أئمة أهل البيت في البقيع في عام ١٩٢٥ زاد من هذا الاستياء في الأوساط الدينية والسياسية والشعبية في إيران. رغم ذلك بدأت العلاقات الدبلوماسية الإيرانية السعودية رسمياً في صيف ١٩٢٩ بالاستناد إلى معاهدة صداقة جرى توقيعها بين البلدين. وبعد ذلك وقعت جملةً من الأحداث في العقود التالية تركت أثراً كبيراً على طبيعة العلاقات السعودية الإيرانية، لعلَّ أهمها إعدام الحاج الإيراني (أبو طالب اليزدي) في عام ١٩٤٣، إذ أعقب ذلك موجة كبيرة من بيانات الاستنكار والشجب في الأوساط الدينية والسياسية الإيرانية، مما أسفرت عن قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وعدم مشاركة المسلمين الإيرانيين في مناسك الحج لأربعة مواسم متتالية، إلى أن عادت العلاقات الدبلوماسية مرّة أخرى في عام ١٩٤٨.

وفي أواخر فترة حكم محمد رضا بهلوي كانت العلاقات الإيرانية السعودية في أفضل حال، ففي كانون الثاني/يناير ١٩٧٨ قام شاه إيران بزيارة تاريخية إلى السعودية، واستقبل بحفاوة من قبل العاهل السعودي آنذاك الملك فيصل.

وبعد الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩ وقعت جملة من الأحداث والمواقف التي كانت بمثابة أسباب جديدة للتوتر بين إيران والسعودية، لعل أبرزها الدعم السعودي لنظام صدام في حربه ضد إيران، وتبادل الاتهام بين البلدين في التدخل وتنفيذ الأعمال الإرهابية، وحادثة مقتل جموع الحجاج في مكة، معظمهم من الإيرانيين، في صيف ١٩٨٧، وكذلك حادثة التدافع في منى في عام ٢٠١٥ التي أسفرت عن مقتل نحو ٧٩٦ فرداً من الحجاج، ٤٦٥ منهم من الإيرانيين.

بيد أن حالة التوتر بين إيران والسعودية لم تستمر طوال فترة الجمهورية الإسلامية، فقد شهدت العلاقات بين البلدين حالة من التقارب والصدقة في فترة هاشمي رفسنجاني (الذي زار السعودية أكثر من مرة)، ومحمد خاتمي. ويُعبّر عن فترة خاتمي بالفترة الذهبية في العلاقة بين إيران والسعودية، حتى كان الحجاج الإيرانيون في هذه الفترات يقيمون بعض المراسم الدينية وقراءة الدعاء من دون ضغوطات من قبل السلطات السعودية.

لقد كان الغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ وتغيير النظام السياسي فيه عاملاً رئيسياً في تغيير طبيعة العلاقات الإيرانية السعودية، إذ بدأ كلُّ بلد يتهم الآخر بالتدخل في العراق وتأزيم الوضع الأمني في المنطقة. وقد كانت الرياض قلقة من النفوذ الإيراني في الحكومة العراقية، لا سيما في فترة ولاية المالكي، وهناك أسباب أخرى فاقت حالة التوتر، مثل الدعم السعودي لمجموعة جند الله الإرهابية في إيران، وأحداث اليمن في عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠، واتهام إيران بمحاولة اغتيال السفير السعودي، واغتيال العلماء النوويين الإيرانيين، والاحتجاجات السعودية في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ واتهام إيران بدعمها، ومن ثمَّ الحربين الطاحنتين في سوريا واليمن، كلٌّ ذلك يمثل أهم الأسباب في استدامة حالة التوتر بين إيران والسعودية.

ولكن بحسب بعض التصريحات، منها تصريح رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي الأخير، فإن هناك محادثات إيرانية سعودية جارية، وثمة احتمال لحدوث انفراجة قريبة وتقارب وشيك في العلاقات بين هذين البلدين. السؤال الذي قد يُعرض بهذا الصدد يستفهم عن ما يمنع التقارب السعودي الإيراني؟ وعن طبيعة هذا التقارب الوشيك.

إذا كان البلدان ينظران في محادثتهما إلى الخلافات الجذرية ذات الجانب الديني والمذهبي والإيديولوجي ولا سيما ما يرتبط بقيادة العالم الإسلامي والسيطرة على المنطقة فمن المؤكد أن معالجة هذه الخلافات ليست بالأمر الهين، وإن إعادة افتتاح السفارات والقنصليات في البلدين لا تعني بالضرورة معالجة هذه المشاكل الجذرية. ولكن على صعيد القضايا والأحداث الراهنة في المنطقة -مثل ما يجري في اليمن ولبنان- فهي القضايا التي قد تُعالج بعد التقارب الإيراني السعودي المتوقع.

الأمر المهم الذي يجب الانتباه إليه هو أن كل الوساطات الدولية بعد ٢٠١٦ التي عملت على إيجاد التصالح بين إيران والسعودية لم تنجح، فباكستان التي كانت أهم دولة وسيطة للتصالح بين إيران والسعودية لم تنجح في مهمتها، والعراق أيضاً، رغم مساعيه منذ عام ٢٠١٩ ولغاية ٢٠٢١ فلم يحقق شيئاً.

ولكن بوادر التقارب قد بدأت منذ أن خابت ظنون محمد بن سلمان من الدعم الغربي في مواجهة إيران، مما دفعه إلى أن يصرح في آذار الماضي لصحيفة أتلانتيك الأمريكية بأن «إيران ستبقى جارة للسعودية ولا يمكنهما "التخلص" من بعضهما بعضاً، ودعا لـ "حل الأمور" بينهما، مؤكداً نية الرياض مواصلة المحادثات مع طهران». الأمر الذي يؤكد ذلك هو أن الرئيس الأمريكي جو بايدن - بحسب وسائل إعلام أمريكية- بدأ بالضغط الحقيقي على ولي العهد محمد بن سلمان لإعادة ترويضه في ظل التوتر غير المسبوق في علاقات واشنطن والرياض.

المحادثات الإيرانية السعودية مؤخرًا

انعقدت حتى الآن خمس جولات من المحادثات بين البلدين، وكان الطرفان متحفّظين جداً من إبراز تفاصيل هذه المحادثات؛ ويبدو أنّ هذه المحادثات متأثرة -بصورةٍ أو بأخرى - من مراحل الاتفاق النووي ومآلات الحرب الروسية الأوكرانية وأثرها على العلاقات الجيوسياسية في المنطقة. ويرى مراقبون أنّ هذه المحادثات باتت في الآونة الأخيرة قريبة من مرحلة النجاح، فالوكالات الخبرية الإيرانية نشرت صوراً عن الجولة الخامسة من المحادثات يظهر فيها رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، ورئيس جهاز الاستخبارات السعودي خالد الحميدان، ونائب الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني سعيد إيرواني، ونشر مثل هذه الصورة في الاعلام الإيراني يعدّ مؤشراً إيجابياً نحو نجاح هذه المحادثات. وبحسب بعض الأنباء المتداولة وغير الرسمية فإن إيران باتت تعوّل على مسألة العلاقات مع السعودية في ظلّ احتمال فشل المحادثات مع الغرب حول الملف النووي. وفي الجانب الآخر تسعى السعودية إلى أن تحصل على بعض المكتسبات من عودة العلاقات مع إيران، لعلّ أهمها حسم الحرب في اليمن التي طالّت نحو سبع سنوات، والتي تُعدّ من أهم الأزمات التي يواجهها محمد بن سلمان.

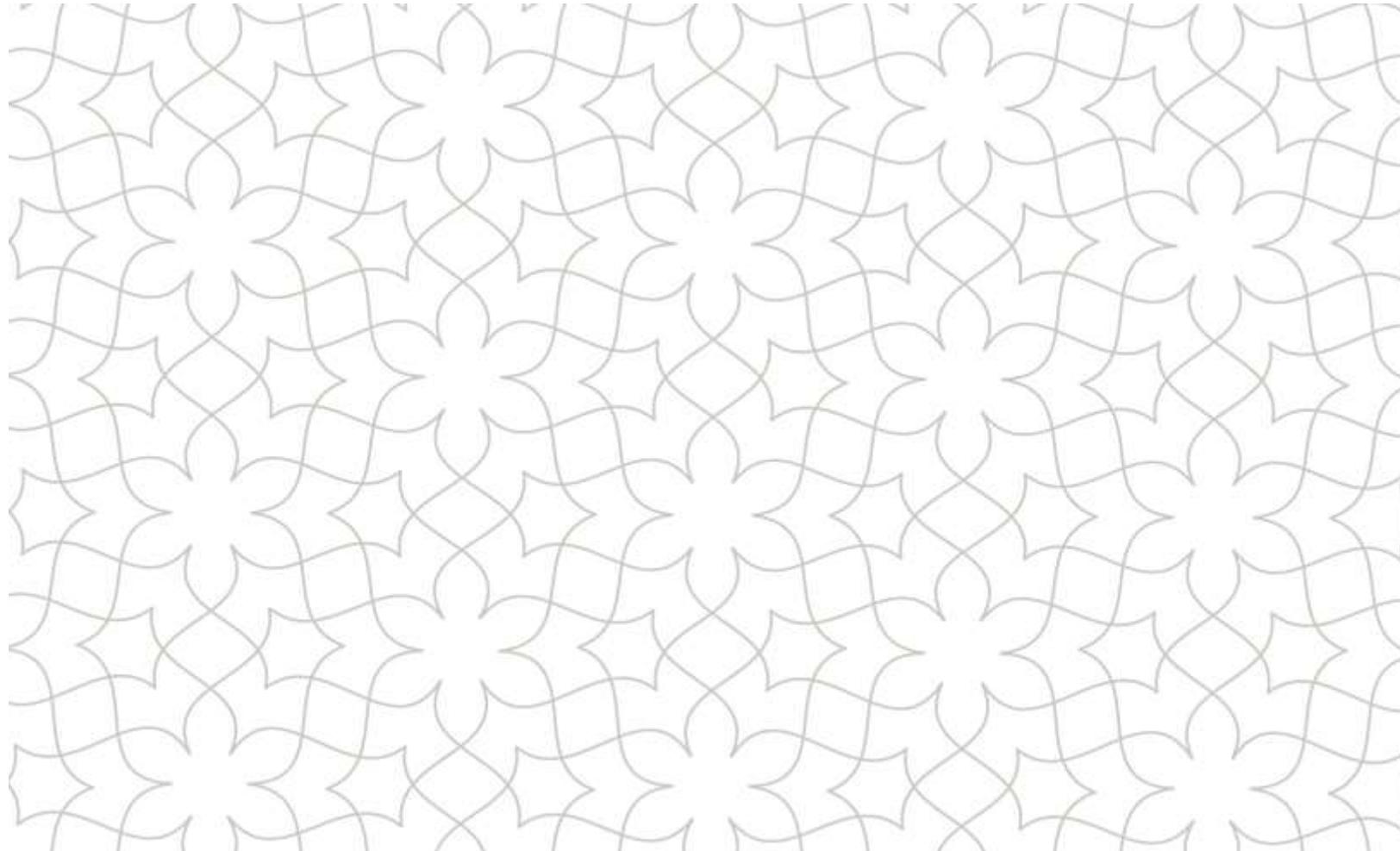
أزمة الطاقة والحرب الدائرة في شرق أوروبا

ثمّة مقال صدر في جريدة "واشنطن بوست" في ٢١ نيسان/ أبريل الماضي، نوه إلى قضية مهمّة حول أثر أزمة الطاقة المرتقبة على طبيعة الموقف السعودي من الغرب. بحسب هذا المقال الذي كتبه المحلل السياسي الأمريكي ذو الأصول الهندية "فريد زكريا" فإنّ الغرب لكي يحافظ على شدّة ضغوطاته على روسيا، ولكي يضمن نجاح عقوباته المفروضة على موسكو ليس أمامه سوى أن يعيد العلاقات الجيدة مع محمد بن سلمان أو يجبي الاتفاق النووي مع إيران ويرفع العقوبات عن فنزويلا، وبهذا يضمن الغرب عدم ارتفاع أسعار النفط، وذلك من خلال حثّ السعودية وسائر الدول المنتجة على رفع انتاجهم للنفط. وإذا تمت السيطرة على أسعار النفط ستؤتي العقوبات الغربية على روسيا أكلها، ويتم عزل موسكو وتهميشها. ولكن اللافت للنظر هو أن السعودية لم تستجب حتى الآن للمطالب الغربية لزيادة الانتاج، وظلت ملتزمةً بمستوى الانتاج

المتفق عليه في "أوبك بلاس"، ولعلَّ السبب يعود إلى فتور العلاقة السعودية الأمريكية في عهد بايدن. وقد بلغ الأمرُ مرحلةً جعل بن سلمان -بحسب مقال واشنطن بوست- يعمل على تعزيز العلاقات مع الصين وروسيا، وإن التزام الرياض بمستوى الانتاج المتفق عليه في أوبك بلاس يؤكّد -بحسب بعض المراقبين- وجودَ نوع من التقارب بين روسيا والسعودية.

إذن إذا جرى تطبيع العلاقات بين إيران والسعودية، وعززت الرياض علاقاتها مع ييجين وموسكو فقد يمكن أن نشهد سبباً جديداً من فتور العلاقة بين الرياض وواشنطن، وهذا بطبيعة الحال ليس في صالح الولايات المتحدة والغرب عموماً، لأنَّ نجاح الضغوطات الاقتصادية على روسيا وردِّعها عن ممارسة العدوان ضد الغرب مرهون أولاً بالسيطرة على الطاقة وأسعار النفط.

أمّا إذا لم تلبس السعودية ضمانات من الولايات المتحدة وإذا ظلَّت العلاقات مع واشنطن على ما هي عليه فن المرَّحَّح أن لا تستجيب الرياض للمطالب الغربية بنحو تام. وإن كانت لدى الولايات المتحدة خيارات أخرى في ردد سوق النفط المتأزّم، وذلك من خلال الانفتاح الجديد على النفط الإيراني والفرنزويلي.



R

